Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إننا، ونحن نقرأ هذا البيت من الشعر، نحس وكأننا أمام مشهد المنخل اليشكري يرغمه السجان «عكب» على المشي وقد أثقلته الكبول والأغلال. وكلما أبطأ في مشيه وخزه عكبّ بحديدة في قفاه إمْعَاناً في تعذيبه، ليرغمه على الاستمرار في المسير.

وقدّم لنا «السمهري» اللص صورة واقعية لما لاقاه من عذاب السجن، العذاب الجسدي والعذاب النفسي، قال:

لقد جمع الْحَدَّادُ بين عِصابةٍ تسائلُ في الأقيادِ ماذا ذُنُوبُها؟
بمنزلة أمّا اللئيمُ فَشَامِتٌ بها، وكرامُ القومِ بادٍ شحوبُها
إذا حَرَسِيٌّ قَعْقَعَ البابَ أُرْعِدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارتْ قلوبُها

...

نرى البابَ لا نَسْطِيعُ شيئاً وَرَاءَهُ كأنّا قُنِيٌّ أسْلَمَتْها كُعُوبُها[1]

يصف السمهري السجن الذي ضم بين جدرانه أخلاطاً من المسجونين الذين تباينت جرائمهم، وكيف أن السجان قيّدهم فيه بالاغلال وأغلق عليهم الباب، فاصفرت وجوههم، ونحلت أجسادهم، وامتلأت قلوبهم خوفاً، وكيف أنهم كانوا إذا فتح الحارس باب سجنهم يشتد بهم الفزع والهلع، وتخور قواهم وتنهار أعصابهم، إذ يتوقع السجين وراء تلك القعقعة أشياء رهيبة، كالدعوة إلى التعذيب أو القتل.

وهكذا نرى أن الواقعية والصدق الفنّي هما سمة الشعر الذي نظمه الأسرى والسجناء وهم يعانون تجربة نفسية خالصة، وكان الوصف عندهم يمثل التصوير الحقيقي لواقعهم وللبيئة التي يعيشون في كنفها. ثم ان هناك العفوية والبساطة والبعد عن التكلف والزخرفة، وكان الشاعر السجين يعتبر قصيدته أو مقطوعته رسالة يوجهها إلى السلطة أو ذوي الشأن أو الأهل، ولذلك كان حريصاً على أن يضمن رسالته جوامع الكلم حيث تكون أسهل للحفظ وأبلغ في التعبير، متلافياً الاطالة والاستطراد، اللّهم إلا في بعض القصائد التي نظمها عدي والفرزدق والتي أشرنا إليها حين تحدثنا عنهما[2].

---

(1) الأصبهاني ـ **الأغاني** 21/ 240، ورد في بحثنا ص 182.

(2) أنظر ما ورد في بحثنا ص 106 وما بعدها، و144 وما بعدها.